



ترجمة المعاني الثانية في النصوص القرآنية إلى اللغة الإنجليزية

أحمد شيخ عبد السلام

تعامل مترجمو نصوص القرآن الكريم المقدّسة مع المعاني الثانية لها من خلال نقلهم المعاني الأولى، ولكن أهمية المعاني الثانية وخصوصيتها في إثبات الإعجاز القرآني، وارتباطها بالقداسة القرآنية جعلت المؤاخذات على تعاملهم مع هذه المعاني تساند موقف القائلين باستحالة ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أخرى ومنعها، وقد استدلووا بخصائص العربية التي يرون بها امتيازها على غيرها من اللغات، وهي مساندة للخصائص القرآنية.

وتؤخذ على ترجمات القرآن أنها تقليد لكلام الله المقدس المعجز الذي يستحيل أن يبلغ كلام البشر المترجم شأواً إعجازه، وقداسته، وأن النص المترجم يفقد التأثير الروحي الثابت للأصل العربي، مع أن المترجم قد يجانبه الصواب والدقة في بعض محاولاته لنقل مفاهيمه الشخصية للقرآن. والواقع أن ترجمة القرآن الكريم عمل لغوي فني أسيء فهمه وتحديد الوضع الديني الملائم للتراجم التي هي محاولات فردية، أو فئوية متأثرة بفهم القائلين بها وغير رامية إلى تقليد الإعجاز القرآني، أو تقليد الأصل المنزل بالعربية، وليس أن يكون المترجم نصاً مقدساً يوضع موضع النص الإلهي الموحى به.

يتناول المقال تعامل مترجمي القرآن إلى اللغة الإنجليزية مع المعاني الثانية المهمة في فهم الرسالة القرآنية ونشرها، ومعرفة مقاصدها، وفي التأثير الروحي لنصوص القرآن، وأثر الفهم الخاص في ترجمتها، مع قصور بعض المترجمين في توضيحها، فيحاول الإجابة عن سؤال حول إمكان ترجمة المعاني القرآنية الثانية، ويهدف إلى إقرار إمكان ترجمتها، على الرغم من المشكلات التي تكتنفها،

ويفحص في مشكلاتها من خلال نماذج تحليلية نقدية مقارنة بين معان مأخوذة من التفاسير ومقتبسات من ترجمة العلامة عبد الله يوسف علي وغيرها من التراجم. ويقدم مقترحات للتغلب على المشكلات.

المعاني الثانية:

يقصد بالمعاني الثانية تلك المعاني التي لا يقتضي الخطاب بناء النظم والتركيب عليها أساساً، ولا يدل ظاهر التركيب عليها، وإنما تستنبط من إichاءات التركيب، أو تفهم منه ضمناً، أو تومئ المعاني الأولى إليها، فتكون مكملية للمعاني الأولى في إبراز المقاصد القرآنية^(١). وهي المعاني التي وصفها الشاطبي بالمعاني التابعة الخادمة للمعاني الأصلية، المختصة بكل لغة، المستعصية على النقل إلى لغة أخرى، ومن ناحيتها تستحيل ترجمة القرآن^(٢). وسماها عبد القاهر الجرجاني بالمعاني الثانية، أو معنى المعنى الذي لا يصل السامع منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، بل يجد معنى اللفظ معنى آخر هو الغرض من الكلام. فأسس الإعجاز القرآني على الأسرار والمميزات النظمية التي يندر أن توجد في أي أسلوب عربي آخر مهماً بلغت العناية به. ويستنبط من تحديده لأوجه الإعجاز النظمي استناده إلى المعاني الثانية المستفادة من التراكيب النحوية لتكون هي المقصودة من النص^(٣).

إن الأصل أن يدل ظاهر اللفظ والتركيب على المعنى الأول وفقاً للدلالات الوضعية، ولكنه قد لا يدل عليه، بل يكون المقصود هو المعنى الثاني المستفاد، وتكون الدلالات الوضعية وسائر خصائص التركيب وسائل إليها. وقد اتسعت اللغة العربية في الترميز إلى مقصود المتكلم عبر المعاني الثانية، وتميز النص القرآني بتضمّنها في ثنايا نظمه المعجز. ولا تستقيم معرفة معاني النص القرآني دون تكامل المعاني الأولى والثانية.

هناك دراسات عديدة في استكشاف المعاني القرآنية الثانية نبعت من استقراء أصحابها وإحاطتهم بأساليب العربية، ومعرفة الأساليب القرآنية ومواقف استخدامها، واستيعابهم للرسالة القرآنية ومقاصدها، ولكن المعاني الثانية المذكورة للنصوص متأثرة في أغلبها بخلفياتهم الثقافية ومذاهبهم العقدية، ومفاهيمهم الشخصية. ومن أمثلتها تفسير المعنى الثاني من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٥٨) بأنه: إن كان بينك وبين

١- فتحي أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ١٩٧٦م، ص ٢٢.

٢- إبراهيم بن موسى الشاطبي، المواقفات في أصول الشريعة، دار الفكر العربي، بيروت، دون تاريخ، ج ٢، ص ٦٦.

٣- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٩٦١م،

ص ٦٠-٦١، ١٧٦-١٧٧، ٢٥٠-٢٥٨.

قوم هدنة وعهد، فخفت منهم خيانة ونقصاً، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم وآذنتهم بالحرب، لتكون أنت وهم في العلم بالنقص سواء^(٤). وتختلف ماهية ترجمة المعاني الثانية عن تفسيرها من حيث تباين اللغتين واحتمال تأثر المترجم بثقافة اللغة المستقبلية، ويصدق القول نفسه في نقل المعاني الأولى.

إذا كانت خصائص العربية المميّزة لا تدانيها فيها لغة أخرى، ولا تقابلها بشيء، يكون مستحيلاً إعداداً ترجمة دقيقة للمعاني الأولى منها إلى أي لغة، فضلاً عن القصد إلى إدراج المعاني الثانية. ولكن الحقائق اللغوية تثبت أن اللغات لا تتفاضل فيما بينها بالخصائص المميّزة بل بالمحتوى الثقافي لها، فإذا كانت لغة أفضل في أحداث اتصالية فإن اللغة الأخرى تكون أغنى منها في أحداث اتصالية أخرى^(٥)، ولكل لغة وسائلها في إبراز المعاني الأولى والثانية، والمجازات واسعة وعديدة، ولا يصح القول بأن العربية أفضل فيها من جميع اللغات، أو أن غير العرب لا تتسع في "المجاز"، دون إجراء دراسات علمية مقارنة واسعة بين أكبر عدد من اللغات قبل إصدار حكم يمكن تعميمه. وإن اختلاف الثقافة والسلوك الاجتماعي اللغوي يجعلان جماعة لغوية معيّنة تتوسع في استخدام بعض المجازات، أو في تراكيب مجازية معيّنة دون غيرها، ولا تتعود على ذلك جماعة أخرى، دون أن يوجد مانع من أن يكون أفرادها على قدر كبير من فهمها ومعرفة أبعاد استخدامها.

مظاهر المعاني القرآنية الثانية:

تبيّن للقدماء الذين قاموا بتفسير القرآن أن لا يتمّ فهم ألفاظ القرآن إلا بعد التعرف على أساليبه، وما يمكن أن ينطوي وراء تعبيراته من المعاني الثانية والمقاصد. وتندرج في مظاهر المعاني الثانية سائر فنون القول الجميل، من مجاز، واستعارة، وكناية، وتشبيه، وتقديم وتأخير، وإطناب وإيجاز وقصر، وتمثيل، وقلب، وتوكيد، وتورية، وترادف، واشتراك لفظي، وتكرار، وتناسب، واختلاف في خصائص التركيب من حيث المخبر، والمخبر عنه، والمخبر به، ونفس الإخبار في الحال

٤- عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٣م، ص ٢١، وانظر: محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، (الأنفال: ٥٨).

٥- R. Deremi Abubakare, Linguistic and non-linguistic Aspects of Qur'an Translating to Yoruba, Georg Olms Verlag, Hildesheim, 1986, ص ٢١ وما بعدها.

والمساق، ونوع الأسلوب، وغيرها^(٦). وترد كلها في الخصائص النظمية المميّزة للقرآن، والخصائص اللفظية والدلالية الجمالية، والخصائص الصوتية فوق القطعية، والدلالات الثقافية فوق اللغوية للألفاظ والتراكيب والصور البيانية، وإيحاءات النصوص وأبعادها، والمعاني الشفافة والمشاركة والمتعددة، والمحمّلة. وقد اهتم العلماء بهذه المعاني تفهما لها، وكشفا لكنوز الكتاب العزيز الكامنة.

وتقسم هذه المظاهر إلى معان نحوية، وأخرى بيانية، كما تقسم إلى معان لزومية واردة من المجازات والكنيات، ومنها ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِمَا نَبِيٌّ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ (سورة الممتحنة، الآية: ١٢) فقبل إن البهتان هنا كناية عن الولد الذي تلحقه المرأة بزوجه كذبا، سواء أكانت التقطته، أم كان من زنا. وهي عادة جاهلية. وكُنِّي عن ولد الزنا بالبهتان؛ لأن بطن المرأة الذي تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذي تلد منه بين رجلها^(٧). وتجعل ترجمة الأستاذ عبد الله يوسف علي^(٨) محور الحديث على منع الكذب، على الرغم من إشارته في التعليق الهامشي إلى كلا الكذب وإلحاق ولد الزنا بالزوج:

“That they will not utter slander, intentionally forging falsehood”. (60:12)

ومنها ما تأتي من مستتبعات التركيب كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (سورة المائدة، الآية: ٦) وقد أشير إلى أن الباء دخلت على “رؤوسكم” لتفيد ممسوحا به وهو الماء؛ لأن “مسح” يتعدى من دون الباء، والمعنى وامسحوا رؤوسكم بالماء. أما نصب “وأرجلكم” على قراءة عاصم، فلإفادة أن التقدير هو “اغسلوا أرجلكم” كان الحكم هو فرض غسل الرجل، ووردت قراءة أخرى بالخفض، فحمل المعنى على فرض مسح الأرجل، ويكون غسلها سنة. وأبرز الأستاذ عبد الله يوسف علي معنى مسح الرأس بالماء وغسل الرجلين دون إشارة إلى معنى مسح الرجلين الوارد من قراءة الخفض “وأرجلكم”:

“Rub your heads (with water), and (wash) your feet to the ankles”. (5:6)

٦- انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، الصفحات السابقة، وابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٢٠-٢١

والشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ٦٦-٦٨.

٧- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (سورة الممتحنة، الآية: ١٢).

٨- انظر: عبد الله يوسف علي: Abdullah Yusuf Ali, The Holy Qur'an: Text, Translation and Commentary, New Revised Edition, Amana Corporation, Maryland, USA, 1409 A.H., 1989.

ومنها ما تكون معاني موقفية، كما ورد لفظ الأمر، والمقصود هو التهديد في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (سورة فصلت، الآية: ٤٠)؛ ذلك لأنهم يعلمون أنه لا يستوي دخول النار، والحضور آمنا يوم القيامة، وأنه لا بد لهم من الجزاء. وقد ترجم الأستاذ عبد الله يوسف علي الآية دون تعليق على مقتضى الكلام: (41:40). "Do what ye will". ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٩٤) والمعنى الثاني المقصود من "اعتدى" الأخير هو الجزاء على الاعتداء الظالم الصادر من الأعداء، وليس الجزاء عليه ظلما، بل هو ردع للظلم. ولكن ترجمة اللفظين، رغم اختلاف المعنيين، بلفظ "transgress" لا يفيد المعنى المقصود من هذا الأسلوب، وقد ترجمهما علي دون تعليق على هذا الأسلوب:

"If then any one transgresses the prohibition against you, transgress ye against him". (2:194)

ومنها معان إيحائية نفسية كما ورد في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ (سورة الحجرات، الآية: ٢) والمقصود من الآية النهي عن الجهر بالكلام على النبي صلى الله عليه وسلم مثلما اعتادوه فيما بينهم، فعليهم مراعاة أبهة النبوة وجلالة قدرها، وانحطاط سائر الرتب، وإن جلّت، عن رتبتها. وقد أنيبت اللام عن "على" في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْهَرُوا لَهُ﴾، أي عليه. وقد ترجم الأستاذ عبد الله يوسف علي الآية دون تعليق على صلة النهي بأبهة النبوة بل أورد تعليقا عاما عن التأدب في الكلام مع القادة:

"Nor speak aloud to him in talk as ye may speak aloud to one another". (49:2)

ومن المعاني القرآنية الثانية وترجمتها ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٦٧)، أي لا ترضون به إلا تساهلتم فيه، وترخصتم، وصرفتم البصر عن مكروهه فيه. وأصل هذا أن يصرف المرء بصره عن الشيء ويغمضه لرداءته، فسُمي الترخّص إغماضا. وأورد الأستاذ عبد الله يوسف علي ترجمة حرفية للآية، ثم أشار في الهامش إلى استلزام غمض العين للاشمئزاز من الشيء والإغضاء عنه لما به من مواصفات غير مرضية:

"When ye yourselves would not receive it except with closed eyes". (2:267)

أهمية ترجمة المعاني القرآنية الثانية:

مما يثار ضد ترجمة القرآن إلى لغات أخرى صعوبة ارتباطها بالتأثير الروحي الثابت للنص الأصلي المتعبد بتلاوته^(٩)، ويزيد الطين بلةً التأثير النفسي السلبي المتعلق بالعتيدة الوارد عن عدم التوفيق في نقل المعاني الثانية في ضوء الفهم الشخصي للنصوص القرآنية المقدسة. ومن أسباب التأثير السلبي صلة المعاني الثانية بالمألوفات فوق اللغوية، والخصائص الاجتماعية والنفسية لكل جماعة لغوية، وإمكان تغييرها وتبدل قيمتها الثقافية باختلاف الظروف الثقافية والفكرية. ولعل مثل هذا التبدل مما دفع ببعض الطوائف الإسلامية العقدية والفقهية إلى التمسك بظواهر النصوص أو الدلالات المأثورة أو الحرفية القريبة^(١٠). وإذا اعتمد هذا الاتجاه في ترجمة معاني القرآن اكتفي بالمعاني الأولى القريبة، فأصبحت ترجمتها أيسر، وخفت مشكلاتها، واستغنت عن نقل بعض المعاني الثانية إلى لغات أخرى.

ويشكك بعض الكتاب في الفائدة من ترجمة القرآن الكريم، متعللين باشمال لغة القرآن على أسرار مجازية لا يعرفها إلا الراسخون في هذه اللغة، وبأن محاولة ترجمة القرآن ترجمة تامة تؤدي من المعاني والتأثير ما تؤديه عبارته العربية ضرباً من المحال، وبإدعاء أن المترجمين يترجمون غالباً ظواهر الكلام ويغفلون عن بواطنه^(١١). ويُسْتغْرَب رأي بعض مانعي ترجمة القرآن في أنها إهانة واعتداء على كلام الله تعالى^(١٢).

إن القرآن كتاب ديني له طريقة خاصة في التعبير يتعلق بها مناط إعجازه. ولنزول القرآن مقصدان، هما: أ) هداية الناس إلى ما فيه صلاحهم في معادهم ومعاشهم، وتنظيم عبودية الإنسان لربه، وعلاقته بنفسه وبغيره من الكائنات، ب) وكونه شاهداً مصداقاً لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعجزة له^(١٣). والقرآن على هذين المقصدين منزل باللغة العربية، ولكن عالمية رسالته تقتضي

٩- انظر: محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢،

١٩٨٣م، ص ٥٤-٦١، ٢٩-٢٢، وعثمان عبد القادر الصافي، القرآن الكريم: بدعية ترجمة ألفاظه ومعانيه وتفسيره...، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٥٤-٧٤.

١٠- من الاتجاهات التي تشترك في بعض هذه المواقف الظاهرية والحشوية والحنابلة. انظر: حسن محمود عبد اللطيف الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٩١م، ص ٧٥-٨٦.

١١- البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص ٦٧-٧٣.

١٢- الصافي، القرآن الكريم: بدعية ترجمة ألفاظه ومعانيه وتفسيره...، ص ٢٦، ٣٤، ٧٠-٧٢.

١٣- البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص ١٤.

تيسير فهمه لغير العرب إما بنشر لغته العربية، وإما بنشر معناه بالترجمة، مع اصطحاب التطبيق النموذجي في كلٍّ منهما. ويؤيد الوضع اللغوي المتعدّد للمسلمين أهمية ترجمته، وإبراز معانيه الأولى والثانية من أجل تعميم الاستفادة من القرآن. ولا تتجرّد الأوّل عن الثواني التي خدم لها.

إن المعاني القرآنية الأولى مرتبطة بالثواني، وهي ضرورية في فهم آيات قرآنية عديدة؛ ذلك لأن نسبة كبيرة من المعاني القرآنية مرتبطة بالخصائص النظامية والأساليب المجازية. فأصبح لزاماً أن يحاول المترجم بيان المعاني الثانية قدر الحاجة في إيصال الرسالة القرآنية. ولا يجانبنا الصواب إذا تساءلنا عن قيمة ترجمة معاني القرآن الأوّل دون الأخذ بالثواني، بغضّ النظر عن التباين بين المألوفات والقيم الثقافية لدى مختلف الجماعات اللغوية؛ إذ يشتمل القرآن على معانٍ وقيم إنسانية تتوفر وسائل التعبير عنها في أغلب اللغات، كما تشيع التطبيقات النموذجية لرسالته، ويحتمل أن يكون المترجم المسلم معابشاً لها.

وتتضح أهمية محاولة ترجمة المعاني القرآنية الثانية من نواح عدة. فمن الناحية الثقافية تفيد ترجمتها في التعريف بمقومات الثقافة العربية الإسلامية، والقيم العربية التراثية التي وظّفها القرآن في تيسير فهم رسالته للعرب وغيرهم، وإقناعهم بصدقها. ومن الناحية الدلالية تعرف بعمق المعاني القرآنية ونواحي الإعجاز فيها. وتساعد على الوصول إلى أعماق بعيدة من تدبّر معاني القرآن، لأن الجميع مأمورون بذلك. وتعين ترجمة المعاني الثانية أيضاً في مساعدة غير العرب على وعي المقاصد الإيمانية والشرعية التي يمكن أن تؤخذ من معرفة المعاني الثانية. وتأتي الأهمية الروحية في تقريب معرفة الثواني من استشعار التأثير الروحي للقرآن، فلا يفقده قارئ الترجمة جملة، وفي الانتقال من مرحلة القراءة بهدف الفهم إلى استشعار عظمة القرآن والإحساس بتلقّيه.

وإن تداخل معاني القرآن الأوّل والثواني وتعددها في الآيات، وارتباط الثواني بالخصائص فوق اللغوية وبالمشاعر الدينية والاجتماعية، وتأثر عرضها بنوع الترجمة المتبعة، من حرفية أو معنوية أو اتصالية أو غيرها لتقتضي أن يصدر المترجم من العقيدة الإسلامية السليمة في استنباط المعاني الثانية وترجمتها، فيختار الأسلم منها.

إمكان ترجمة المعاني القرآنية الثانية:

نتجت أنواع من المعاني الثانية من محاولات المفسّرين والفقهاء والأصوليين والمتكلمين لصياغة مفاهيمهم للقرآن. ويجعل هذا التنوع مهمة المترجمين صعبة للغاية؛ ذلك لأن المفسّر والفقهاء، وغيرهما، يدورون في فلك الثقافة والأساليب العربية للتعامل مع المعاني القرآنية، ويسعفهم تماثل

الوسيلة اللغوية، أما المترجم فإنه يرجع إلى هذه المعاني الثانية المتنوعة ليصيغها في لغة أخرى، ولا يستغني عن العودة إليها سواء تمكّن من التلقي المباشر من القرآن، أم لا. ولا يسعفه اختلاف الوسيلة اللغوية والثقافية في مواقع كثيرة من عمله.

إن تجارب المترجمين متباينة مع ظلال المعاني وتخيرات الألفاظ والتراكيب المعبرة عن المفاهيم المقصودة من النصوص. وقد حاول مترجمو القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية نقل المعاني الثانية مع الأولى. ومن هؤلاء الأستاذ محمد مارماديوك بكتهال الذي لجأ - غالباً - إلى نقل القرآن إلى الإنجليزية حرفياً تقريباً بلغة مناسبة، من أجل تفادي الإساءة التي رآها لاحقة بالمسلمين من الترجمات السابقة لعمله، واتسم عمله بتعامل ظاهري مع كثير من الألفاظ وتجاهل كثير من المعاني القرآنية الثانية^(١٤). وعمد الأستاذ تى بى ارونك في الغالب إلى الترجمة المعنوية الاتصالية بألفاظ سهلة حديثة في إيصال المعنى القرآني إلى مشاعر متحدثي اللغة الإنجليزية الأمريكية، فكان يتخبر المعنى الذي يراه مقصوداً دون التقيد بإبراز كل المعاني المحتملة، أو الموحى بها من الآيات^(١٥). أما الأستاذ عبد الله يوسف علي فقد آثر اعتماد المعاني والمفاهيم المقدمة في التفاسير التراثية ثم الحديثة ولم ينتهج نهجاً محدداً في عرض الخصائص النظمية التي قد تحمل المعاني الثانية، فأحياناً يختار الترجمة الحرفية، أو يفضل المعنوية، وفي بعض المرات يقيد بالهامش بعض المعاني الثانية، أو يسكت عنها^(١٦).

لا شك أن التراجم الإنكليزية لا تخلو من إشارات إلى المعاني القرآنية الثانية، ولكن في نفس الوقت هذه المحاولات لا تخلو من مؤاخذات؛ نظراً لما تحيط بترجمة المعاني الثانية من مشكلات. وتوحي المقارنات التالية بين التفسير والترجمة بمدى صعوبة التراجم في نقل المعاني الثانية إلى اللغة الإنجليزية، ويمدى الحاجة إلى تفادي المشكلات الدلالية والثقافية والدينية التي قد تنجم عن المشكلات الفنية في تقديم المعاني القرآنية الثانية.

فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (سورة ق، الآية: ٣٧) هو: إن في ذلك لعبرة لمن كان له عقل يتدبر به، ولب يعي به، ونفس حية متميزة، ويستمع الكلام فيعيه بلبه، وهو شاهد القلب حاضره فيما يسمع غير غائبه. ويأتي المعنى

١٤- مقدمة المترجم: Marmaduke Pickthall (transl.), *The Meaning of The Glorious Coran*, Dar al-Kitab

al- Lubnani, Beirut, 1970.

١٥- T. B. Irving (transl.) *The Qur'an*, Omar Brothers Publications PTE LTD, Singapore, 1992, P. xxiv,

xxxiv.

١٦- Abdullah Yusuf Ali, *The Holy Qur'an: Text, Translation and Commentary*.

الثاني من الكناية عن العقل بالقلب؛ لأنه موضعه، وإن الذي لا يعي كمن لا قلب له، والكناية عن الاستماع الواعي بإلقاء السمع، كما تقول العرب: ألق إليّ سمعك، أي استمع. وعبر عن حضور القلب وتمام الانتباه بالشهادة^(١٧).

وُترجم قوله: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عند كل من الأساتذة عبد الله يوسف علي، وبكتهال، و ارونك^(١٨) بالآتي: (50:37). "has a heart" (أي له قلب)، ولكن عبارة (have a/ the heart) تستخدم للتعبير عن العطف والمسؤولية تجاه شيء، والعزم والإرادة القوية^(١٩)، ولكن الآية تفيد معنى التعقل والتدبر، فكان التركيز على استيعاب آيات الله، وليس على العزيمة والهمة. ولا تساعد الترجمة الحرفية على حسن تدبر معنى الآية، لعدم مناسبة امتلاك العزم في استقاء العبرة من هلاك الأمم وجزائهم يوم الحساب. وكان الأولى نقل المعنى الثاني المقصود (أي الوعي والتعقل مباشرة).

وقد حاول الأستاذ بكتهال تصويب المعنى بترجمة ﴿شَهِيدٌ﴾ بمن يتحلّى بالذكاء التام (with full intelligence). ولكن الأستاذين عبد الله يوسف علي و ارونك يلتفتان في هذه اللفظة إلى معنى الشهادة على شيء وحضوره الشخصي (witness)، مع أن المقصود هو حضور القلب والوعي، وهي أمور لا تتأتى من الشهادة، ولا يشترط فيها الذكاء التام الذي قد لا يتوفر لكثير من الناس.

وترجم الأستاذ عبد الله يوسف علي و الأستاذ بكتهال ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ بعبارة "give ear" (أي يعطي أذنا)، وترجمه الأستاذ ارونك بعبارة "lends an ear" (يعير أذنا)، مع أن عبارة "give ear to" تستخدم لتعني الانتباه أو الاستماع التعاطفي للكلام أو الطلب. وإعطاء الأذن أو إعارتها يدلان على الاستماع والتعاطف، ولا يستلزمان الوعي المقصود من الآية.

ومن ذلك تفسير ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (سورة يونس، الآية: ٢) بمعان متعددة تدور حول المكانة العالية المحموده، والجزاء الحسن، والأثرة، والتقدم في الذكر والخير والعمل الصالح. ويركز بعضها على معنى "صدق" وبعضها على معنى "قدم". وذكر أن "القدم" هو سبق في الشرف. فالقدم في الآية كناية عن التقدم في السعي في العمل الصالح. ويرد المعنى الثاني من

١٧- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ق: ٣٧).

١٨- راجع: التراجم الثلاثة، لعبد الله يوسف علي، وبكتهال، و ارونك.

١٩- انظر: Longman Dictionary of English Idioms, Longman Group Limited, Harlow and London, 1979.

أن "قدم" قد يدل على العضو المعروف ، أو على السابقة في الأمر. وأضيف "قدم" إلى "صدق" لإفادة السبق في صدق الطاعة ، والتقدم إلى العلو. فجمع بين السبق والفضل والصدق في العمل والجزاء.

وقد ترجمت عبارة ﴿قَدَّمَ صِدْقِي﴾ كما يلي عند الأستاذ عبد الله يوسف علي: "lofty rank of truth" (10:2) (أي الدرجة العالية للصدق)، وعند الأستاذ بكتهاال: "sure footing" (أي الوضع المؤكد)، وعند الأستاذ ارونك: "sound footing" (أي الوضع الصحيح). والواقع أن معاني "footing" في الإنجليزية تدور حول الوضع المقرر، أو المكانة المقررة المعروفة. ولا تغني ترجمة الأستاذ عبد الله يوسف علي في فهم الآية؛ إذ تفيد المكانة العالية في الصدق، ولكنه اهتم في تعليقه الهامشي بتقديم عمل المرء عليه، وضرورة الإخلاص فيه، وهو تعليق لا يتفق مع سياق الآية الرامي إلى التبشير بالخير.

ويشار إلى أن المعنيين بلفظ "المصلين" في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (سورة الماعون، الآية: ٤-٧) هم الذين يضيعون صلواتهم ويتهاونون بها، ولا يرجون ثوابا من أدايتهم ولا يخشون عقابا من تركها، بل يتظاهرون بأدائها. ويفيد استخدام "عن" بدلا من "في" في قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أن السهو المقصود هو سهو ترك لها، وقلة التفات إليها، وهو المعنى الثاني من الآية، وليس السهو الذي يعتري المصلين عامة في الصلاة بوسوسة الشيطان أو حديث النفس؛ إذ لا يكاد يخلو منه مسلم. والمعنى الأخير هو ما يمكن أن يستفاد من استخدام "في" في مثل هذا الموقع. أما ﴿الْمَاعُونَ﴾ فقد ذكر فيه معان عدة منها أنه زكاة الأموال، أو المال، أو كل ما فيه منفعة، أو منافع البيت، أو المعروف المتبادل بين الناس، أو الطاعة والانقياد. والمعنى الثاني من استخدام هذه اللفظة وارد من إمكان اشتماله لكل أوجه المعروف والمنافع.

وبالنظر في التراجم نجد الأستاذ عبد الله يوسف علي يترجم ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ بعبارة: (107:47) "neglectful of their prayer"، وقدّم الأستاذ بكتهاال: "heedless of their prayer"، وهي ترجمة موفقة راعت الاختلاف بين استخدام "عن" بدلا من "في"، ولكن الأستاذ ارونك ينظر إلى معنى "في" فيقدم المعنى غير المقصود: "absent minded as they pray". ونجد كلا من المترجمين الثلاثة يراعون جانبا واحدا فقط من معاني ﴿الْمَاعُونَ﴾. فنجد الأستاذ عبد الله يوسف علي يفضل "neighbourly needs" (أي المنافع المتبادلة بين الجيران) مع تعليق بالهامش عن أهمية مساعدة المحتاجين بالموجود قليلاً أو كثيراً، ويختار الأستاذ بكتهاال "small kindnesses" (أي الحسنات أو

الصدقة الزهيدة)، كما يختار الأستاذ ارونك "contributions" (أي الصدقة أو المساهمة - ولها مفهومها الديني في المسيحية). ولعل الأولى الإفادة في الترجمة باشتغال اللفظة على أوجه المعروف والمنافع كافة.

مشكلات ترجمة المعاني الثمانية:

تكتنف ترجمة المعاني القرآنية الثمانية مشكلات تتعلق بالنواحي العقيدية والثقافية والدلالية، والمقصدية.

فمن الناحية العقيدية يلاحظ أن أثر النصوص القرآنية المقدسة لا يقف عند عاطفة عابرة، أو انفعال فني، بل يسيطر على العقول والقلوب، و تحاط هذه النصوص بهالة من القداسة والطهر تسمو بها فوق مستوى الإنسان^(٢٠). فإذا ما وقع خطأ في نقل هذه المعاني أدى ذلك إلى التأثير السلبي على قداسة النص القرآني المنزل المعجز، وعلى مناحي التعبد به في حالة اعتماد المعاني المستنبطة من النص المترجم في التطبيق بدلا عن الأصل.

ومحاولة المترجم تقليد النص المنزل في اللغة المترجم إليها تُبعِدُ ضِعَافَ الإيمان عن السعي إلى معرفة الأصل والتعامل به مباشرة، فيقتصرون على الترجمة المتداولة، وذلك موقف يعني التخلي عن الأمر بالتعبد بالنص الموحى به. وقد نظر بعض مانعي الترجمة إلى هذه الصعوبة المحتملة، وبالتالي في الإصرار على القول باستحالتها، ووصفها بالادعاء على الله بإسناد ما لم يقله إليه.

ومن المشكلات المتصلة بالناحية العقيدية ترجمة آيات الصفات المشتملة على مجازات أعضاء الجسم المستندة إلى الذات العلوية. فهناك خلاف بين الطوائف الإسلامية في معاني هذه المجازات، فالسلفية يقرون بظاهر معانيها في الآيات على الهيئة التي تليق به تعالى من دون تجسيد، ولكن الأشاعرة والمعتزلة يرونها مجازات، ويؤولونها حسب استخدامها في لغة العرب تجنبا للتجسيد. وقد اختار القرطبي المذهب الأخير ففسر ادعاء اليهود ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ بزعمهم أنه بخيل يمسك عن الإنفاق، مقبوضة نعمه عنهم كما تقبض اليد عن العطاء. وفسر قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ بأن نعمه تعالى مبسطة. وحمل العبارة ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ على الدعاء على اليهود بسبب ادعائهم، وذلك في قوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (سورة المائدة، الآية: ٦٤). ولكننا نجد الأستاذ عبد الله يوسف علي يترجم هذه

٢٠- انظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٤، ١٩٨٠م، ص ١٧٥.

الألفاظ ترجمة حرفية على الرغم من عدم ورود مثل هذه المجازات في الإنجليزية، غير أن تعليقه الهامشي يفيد بالمعنى المجازي الذي أورده القرطبي:

“The jews say: “Allah’s hand is tied up.” Be their hands tied up and be they accursed for the (blasphemy) they utter. Nay, both His hands are widely outstretched: He giveth and spendeth (of His bounty) as He pleaseth”. (5:64)

ومنها ما قد يرد من الخطأ في إبراز المعاني الثانية أو إخفائها، مما يتعلق بإعطاء القرآن اعتباره الكامل، والتجنّب عن العبث به. وقد ترد من الترجمة الحرفية المؤدية إلى الغموض في فهم الآية، مثل ترجمة الأستاذ عبد الله يوسف علي لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ (سورة النساء، الآية: ٣٣): “To those, also, whom your right hand was pledged give their due portion” (4:33)

فالمقصود هو تخصيص نصيب من الميراث للذين تحالفوا بالأيمن المؤكدة حسب العهود السابقة، وفي ذلك إيحاء إلى نوع من المعاهدات التي درجت عليها العرب في الجاهلية. وقد تم نسخها لاحقاً. ولكن الأستاذ عبد الله يوسف علي يترجم “أيمان” بالأيدي اليمنى، ويضع تعليقا هامشيا يبين معاهدة المهاجرين والأنصار على التوارث بُعِيدَ الهجرة، وأهمية احترام علاقات الدم والجوار، ولا يوضّح التعبير الوارد في النص. وأحسب أن هذه الطريقة في الترجمة لا تعين على إبراز وظيفة الهداية للقرآن، وكان الأولى إثبات الترجمة المعنوية، والتدقيق في معنى “أيمان”.

ومن المشكلات المتعلقة بالناحية الثقافية ردود أفعال فردية واجتماعية من المسلمين العارفين باللغة العربية، المطلعين على النصوص المترجمة، على المضاعفات الثقافية من اللغة المستقبلية المترجم إليها. فمعنى “أكل النار” في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ (سورة النساء، الآية: ١٠) يوحي بأن المأكول حرام، وأن الجزاء عليه هو عذاب النار. وهذا هو المعنى الثاني المقصود. ولكن الأستاذ عبد الله يوسف علي يترجم “النار” بلفظة “fire” كما يلي: (4:10) “They do but swallow fire into their bellies” دون أن يضع أي تعليق هامشي ولا توضيح، مع أن النار أو ابتلاعها في البطن لا يفيد هذا المعنى في الإنجليزية، بل ربّما يفيد العزيمة والهمة العالية. وكان الأولى وضع تعليق هامشي وتوضيح قوسي. ويثبت هذا المثال أيضاً المشكلة التي قد تنشأ عن اختلاف المؤلفات الثقافية من الألفاظ والتراكيب المنتقاة في الترجمة لنقل المعاني القرآنية الثانية.

ومن هنا تلك المعاني القرآنية الثانية التي لا توجد للألفاظ أو التراكيب المقابلة في اللغة المستقبلية لما ورد في القرآن. ومن أمثلته ترجمة "لا" الزائدة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأنعام، الآية: ١٠٩) والمفروض طرحها في الترجمة؛ لأنها ذكرت في الآية لما علم من إباء ووجد من المشركين. ومعنى الآية: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون فزيدت "لا" لأنهم لا يؤمنون إذا جاءت. ولكن الأستاذ عبد الله يوسف علي يثبت معنى النفي، فأفاد تعبيره وتوضيحه إنكاراً على المسلمين توقعهم عدم إيمان هؤلاء المشركين. ويناقض التعليق الهامشي الصحيح ما يفهم من الترجمة:

"But what will make you (Muslims) realise that (even) if (special) signs came, they will not believe" (6:109)

ومن هنا اختلاف الاستخدام المجازي للألفاظ المتقابلة في اللغتين مما ينتج معاني ثانية ثابتة متباينة. فقد استخدم القرآن الكريم اللفظتين: "النور" لإفادة معنى الهداية والإيمان، و "الظلمات" لإفادة الكفر والضلالة في قوله تعالى: ﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (سورة إبراهيم، الآية: ١) وترجمتهما الأستاذ عبد الله يوسف علي بلفظتي "light" و "darkness". ولكن "الظلمة" تستخدم في الإنجليزية للتعبير عن عدم المعرفة "in the dark"، أو السرية "keep something dark":

"In order that thou mightst lead mankind out of the depths of darkness into light" (14:1)

فأفادت الترجمة الخروج بهم من الجهالة إلى المعرفة. وتبقى الحاجة ماسة إلى تعليق هامشي، أو توضيح داخل النص لبيان نوعي الجهالة والمعرفة.

ومن هنا الترجمة الحرفية للمجازات التي لا تفيد ترجمتها إلى لغات أخرى معنى محددًا، وكان الأولى نقل المعنى المقصود منها بالكلمة المناسبة في اللغة المستقبلية. ولعلنا نشير هنا إلى ترجمة الأستاذ عبد الله يوسف علي للآية: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ (سورة الصافات، الآية: ٦٥) ترجمة حرفية دون أي تعليق: "The shoots of its fruit stalks are like the heads of devils" (37:65). وقد ذكر القرطبي أن المقصود الشياطين أنفسهم، وتدل العبارة على قبحهم. فرؤوس الشياطين متصورة في النفوس غير مرئية، وقيل هي ثمر لشجر خشن منتن مرّ منكر الصورة. وترجمة الأستاذ عبد الله يوسف علي إذاً غير مفيدة وغير مجدبة في نقل معنى القباحة والفضاعة المقصودة.

أما من الناحية الدلالية فلا يصح أن نعمم القول بأن ترجمة القرآن حرفية أو حرة ستفقد قيمته؛ ذلك لأن أي كلام يعاد بناؤه في لغة أخرى يتعرض للمصير نفسه^(٢١). وإن عدم ترجمة المعاني القرآنية الثانية يعني إهدار الكثير من المعاني التي فهمها الصحابة وتابعوهم من الآيات القرآنية، ومن تطبيقاتهم لها، وفي ذلك إهدار للتجارب الكثيرة للعرب من الأحداث الاجتماعية التي وظفها القرآن الكريم في تبليغ رسالته.

قد تكون الدلالات القرآنية قطعية ترد في نصوص لا تحتل أكثر من معنى واحد، ولا تقبل التأويل، مثل بعض نصوص العقائد، وإذا لم يوجد لفظ مقابل يحدد المعنى المقصود بدقة في اللغة المستقبلية أدى ذلك إلى تحريف معنى القرآن. ومن أبرز ذلك إصرار العلماء على عدم ترجمة لفظ الجلالة "الله" باعتباره علما على الذات العلوية بل يكتب كتابة حرفية: "Allah" في الكتابة اللاتينية؛ لأن كلمة "god" في الإنجليزية لها معان ثابتة تختلط بالمعتقدات الوثنية اليونانية والمسيحية، ولا يبعد هذا الإيحاء ترجمتها بكلمة "God" بالحرف الافتتاحي الكبير.

وقد تكون هذه الدلالات ظنية تحتل أكثر من معنى، وهي الأكثر. فيقوم المترجم بدور المؤول للآيات التي ترد فيها إلى لغة أخرى، وقد يحتاج إلى إثبات بعض هذه المعاني الثانية المحتملة، أو كلها. ومن ذلك ما يرد من الأشباه والنظائر القرآنية، مثل لفظة "التلاوة" التي وردت في القرآن لمعان كثيرة منها: القراءة، والتطبيق، والاتباع، والإنزال، والإخبار. وتفيد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ (البقرة: ١٢١) المحافظة على الكتاب، واتباعه حق الاتباع، وتطبيق آياته^(٢٢). ولكن الأستاذ عبد الله يوسف علي يترجمه بلفظة "study" (أي الدراسة) من دون تعليق هامشي، والملاحظ أنها غير مقصودة هنا: "Those whom we have sent the book study it as it should be studies" (2:121)

والمهمة الصعبة في استيفاء المدلولات الكاملة لجميع الألفاظ القرآنية، وإدراج كل المعاني الثانية التي تتعلق غالبا بمسائل غير لغوية لم توضع لتيسير الترجمة، ولا تغني في إبراز هذه المسائل وضع معلومات عامة في مقدمة السورة. وقد يُعَدُّ المترجم بأنه يقدم مفهومه الخاص وتأويله الشخصي. وقد تفضي الترجمة الحرفية إلى معان عكسية إذا أهملت المدلولات الثانية التي تلتصق بالآية.

٢١- Abubakare, *Linguistic and non-linguistic Aspects of Qur'an Translating to Yoruba*, P. 20.

٢٢- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (سورة البقرة، الآية: ١٢١).

ومن هذه المشكلات تعدد معنى اللفظ والمقصود غير ملحوظ من قبل المترجم، مثل ترجمة الأستاذ عبد الله يوسف علي للجَمَل في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٤٠) بلفظة "camel" (7:40). وعلى الرغم من أن الترجمة متفقة مع رأي الفراء، فإن للجمل في اللغة العربية معنيين: الحيوان العظيم المعروف، والخيط السميك لجر السفينة، أو صعود النخل. والأنسب أن يترجم اللفظ بالخيط السميك في الآية لأنه أنسب لسم الخياط. وترك الأستاذ عبد الله يوسف علي الترجمة دون بيان للمعنى الثاني المقصود من التعبير.

قد تبعد الترجمة المعنوية المعاني الثانية المقصودة، وخاصة تلك التي ترد من الخصائص النظمية والصوتية الصرفية، وقد يوفق المترجم في إبرازها، كما في ترجمة الأستاذ عبد الله يوسف علي للآية: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ (سورة الزلزلة، الآيات: ١-٣) فزيادة على المعنى الأول الناقل لتحرك غير عادي للأرض ابتلاعا لبعض ما عليها، ولفظا لما بداخلها، واستغرابا من الإنسان لما يحدث. فإن في تكرار الزاي واللام في "زلزت" و "زلزال" نفحة شفاقة توحى بعظمة الموقف، كما أن الصورة التي رسمها جو الآيات تفيد معنى ثانيا هو حدوث الهول الأعظم الذي يفهم من اصطحاب الزلزال للبركان في منطقة معينة من البقعة الأرضية وما يصيب المرء فيه من روع. وقد ترجم علي الآيات ترجمة معنوية، وأبرز المعنى الثاني في التوضيح بين الأقواس داخل النص، وفي التعليق الهامشي:

"When the Earth is shaken to its (utmost convulsion). And the Earth throws up its burden (from within). And man cries (distressed): What is the matter with it" (99:1-3)

وقد تنتج بعض المشكلات من المفردات والتراكيب التي لا تكاد تجد مقابلا لها في اللغة المستقبلية، والغياب النهائي أو الجزئي للمواقف المناسبة وظيفيا لنصوص اللغة المصدر في ثقافة اللغة المستقبلية، كما في ترجمة: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٢٦).

"For those who take an oath of abstention from their wives" (2:226)

والإيلاء حلف بالطلاق يقصد منه إيذاء المرأة في الجاهلية عند المساءة، وقد نقل (المترجم) المعنى من دون تعليق هامشي على الرغم من أنه عادة غير معروفة في الإنجليزية. أما في ترجمة قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (سورة الأحزاب، الآية: ٤) فقد اختار نقل "ظهار" بالكتابة الحرفية (zihar) ووضع تعليقا هامشيا يوضح أن المقصود منه نوع من

الطلاق يتم بتشبيه الرجل ظهر زوجته بظهر أمه لتحريم جماعها على نفسه. وهذه طريقة للترجمة معينة على استيعاب معاني الآية.

أما المشكلات الأسلوبية فمنها ما ينتج من المعاني الثانية الواردة عن اختلاف اللغتين في نظم الكلام، والتصاق المعاني الثانية بالعناصر اللغوية التي تعتبر صعبة الترجمة، أو غير قابلة للترجمة، بل تقتضي توضيحات داخلية، وتعليقات هامشية. فالمقصود من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ (سورة القلم، الآية: ٤٢) هو المعنى الثاني، إذ عبر بـ "الكشف عن الساق" عن الهول والأمر الشديد الفظيع يوم القيامة. وفي استعارة لفظة "ساق" للكشف عن شدة الأمر معني ثاب مستفاد من أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم في غاية الشدة شمر عن ساقه، فاستعير الساق في موضع الشدة (٢٣). ونجد الأستاذ عبد الله يوسف علي يترجمه ترجمة حرفية:

"The day that the shin shall be laid bare". (68:42)

ويضع تعليقا عاما عن أهوال القيامة، دون توضيح للمعنى الثاني المستفاد ولصلته بالتعبير الوارد في التركيب، علما بأن لفظة "shin" لا يرد لمثل هذا المعنى في الإنجليزية. وأما المشكلات المتعلقة بالناحية المقصدية فقد تأتي من السلبيات والمشكلات المصاحبة للمفاهيم والتطبيقات التي تبنى على الترجمة، لأنها تطبيقات مبنية على مفاهيم المترجمين التي هي مفاهيم قد لا تكون شاملة للأوجه الجائزة أو الواردة المحتملة للنص، وقد تفضي التطبيقات والمفاهيم المبنية على الترجمة إلى البعد عن الفهم والتطبيق الأصلي. وقد يترتب على الخطأ أو القصور في نقل المعاني الثانية الخطأ أو القصور في التطبيق، ومن ثم الانحراف عن الجادة، وإبعاد القرآن عن وظيفة هداية الناس إلى الصراط المستقيم.

ومنها ما يتعلق بالآيات المحكمات والمتشابهات، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ٧) ويراد بالمتشابه ما خفي ودق معناه، وما يشبه غيره في الظاهر والمعنيان مختلفان، وهو ما يقابل المحكم. ووردت قراءتان للآية إحداهما بالوقف اللازم على لفظ الجلالة "الله" والأخرى بعدم الوقف.

وبما أن القرآن منزل لنفع العباد ولفهم معانيه بغرض تطبيقها فإن ابن قتيبة يرى عدم ورود شيء في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم، وأنه لم يدون أن المفسرين اعتذروا عن توضيح بعض معاني القرآن بحجة أنها من المتشابهات. ويترتب على اختلاف الوقف في القراءتين اختلاف إعراب الواو في "والراسخون" في أنها إما: استثنائية، أو عاطفة لمعان ثانية مختلفة. فإذا كانت الواو عاطفة فهم أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابهات، وأما إذا كانت استثنائية في حالة الوقف اللازم على لفظ الجلالة "الله" فيعنى أنهم لا يعلمونه، وإنما يفوضون تحديد معانيها إلى الله، ويترتب على ذلك وجود آيات في القرآن لا يفهمها الناس. وهذا ينتافي مع مقصد نزول القرآن للهداية^(٢٤). وبالعودة إلى الأستاذ عبد الله يوسف علي نجده يورد الترجمة التالية:

"But those in whose hearts is perversity follow the part thereof that is not well-established meaning, seeking discord and searching for hidden meanings, but no one knows its meanings except Allah. And those who are firmly grounded in knowledge say: "We believe in the book". (68:42) □

فترجم "ما تشابه" بعبارة: "not well-established" الموهمة بعدم استقرار العرف على معاني بعض الألفاظ المستخدمة في القرآن أيام نزوله، وبإمكان عدم دقة فهمها، أو عدم صحة الفهم لدى الذين تلقوا القرآن، وهذا معنى غير صحيح. وأشار في التعليق الهامشي إلى أنه لا أحد يستطيع الإحاطة بهذا النوع من المعنى. وتستند هذه الترجمة إلى اختياره القراءة التي تلزم بالوقف عند لفظة الجلالة "الله"، وتوحي بأن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابهات. ولكن الأستاذ عبد الله يوسف علي يشير في الهامش إلى أن القراءة الثانية واردة، وأنها مردودة لدى أغلب المفسرين، ويورد ترجمة هذه القراءة كما يلي:

"No one knows its hidden meanings except Allah and those who are firm in knowledge". They say: ومحاولته في ترجمة هذه الآية وبيان المعنيين المحتملين تساعد في التعرف على المعاني المحتملة.

٢٤- انظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٩٨-١٠٢، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (سورة آل عمران، الآية: ٧).

مقترحات لنقل المعاني القرآنية الثانية:

كان الهدف من مناقشة المشكلات التي تحيط بترجمة المعاني القرآنية الثانية إثبات أهمية ترجمتها في فهم الرسالة القرآنية، وإبراز بعض المحاولات الموفقة والقاصرة في تقديم هذه المعاني. ويرى الكاتب لزوم نقل المعاني الثانية عند ترجمة القرآن الكريم، ولا يرى وجها لمنع ترجمة القرآن، لأن ضرر المنع أكبر من نفعه، ولا يرى أن تكون ترجمة بعينها هي النموذجية الدائمة التي تعتمد في التعامل مع القرآن الكريم لدى جماعة لغوية معينة، بل ينبغي أن تتوسع مفاهيم الناس للقرآن كلما توثقت صلتهم به، فإن الأحرى أن تتجدد ترجمات القرآن لدى هذه الجماعة، لتعبر كل ترجمة عن فهم خاص بالمترجم، مهما تكن صلتها بالقرآن ومعرفته بلغتي الترجمة، ولتتضمن كل المعاني الأولى والثانية المتكاملة في فهم القرآن الكريم. وقد بدا للكاتب بعض المقترحات التي قد تعين في التغلب على المشكلات المتوقعة في إبراز المعاني القرآنية الثانية. ومن المقترحات العامة ما يلي:

- يقترح احتواء ردود الأفعال الدينية التي قد تكون سلبية تجاه الترجمة بوضع التوضيحات والتحديدات داخل النص بين الأقواس، وبيان ملامح الاختلاف العقدي والثقافي بين لغة المصدر العربية واللغة المستقبلة في التعليقات الهامشية.
- تراعى الدقائق الثقافية العربية الإسلامية التراثية، والخصائص النظامية لمعهد الخطاب لدى العرب أيام نزول القرآن في نقل المعاني الثانية إلى لغات أخرى.
- تقترح الإشارة في التقديم إلى نواحي القصور المحتملة في عرض المعاني الثانية في النص المترجم، لكون الترجمة ممثلة لفهم المترجم أو المترجمين. ووضع مقدمات توضيحية تشتمل على نماذج من معاملة المترجم لمختلف أنواع المعنى، ومحاولته التغلب على المشكلات بأنواعها.
- ينبغي التأكد من التبعات الدلالية للألفاظ والتراكيب المترجمة في اللغة المستقبلة، حتى لا تعكس صورة غير طيبة وغير صحيحة للقرآن الكريم للمسلمين من أصحاب اللغة المترجم إليها، ولا تشوش على الذين يرغبون في الإسلام من هذه الجماعة اللغوية.
- العناية بالعناصر التداولية للمعنى المترجم؛ لأن المفردات الدينية تحمّل غالبا بمشاعر ومعتقدات لا تقارن بأي إشارة قيمية أخرى.
- الدقة في التعامل مع الألفاظ الشفافة من خلال وضع توضيحات بين قوسية وتعليقات هامشية، وتجنّب الألفاظ والتراكيب التي لها معانٍ ثانية عقديّة مضادة في اللغة المستقبلة.

- يشار في الهوامش إلى الفروق الثقافية الموجودة بين اللغتين في استخدام بعض الألفاظ المجازية والصور البيانية بوجه عام، والخصائص التركيبية التي تفيد معاني مختلفة. ويشار إلى أن اختيار الأسلوب الرفيع لترجمة القرآن لا يقصد منه تقليد بلاغته ونواحي إعجازه.
- تعالج المشكلات المتعلقة بالناحية المقصدية بربط المعاني الثانية بظروف نزول القرآن الكريم، وربطها بالسنة النبوية التي لها وظيفة البيان الأول للرسالة القرآنية وتطبيقاتها.
- ولعل المقترحات الفنية التالية مفيدة في ترجمة المعاني القرآنية الثانية، ومنها:
تبني المصطلحات الإسلامية العربية للقيم والمظاهر غير الموجودة في اللغة المستقبلية، والكتابة الحرفية لها، وتوضيح مفاهيمها بين الأقواس، أو إيراد معلومات عنها في الهوامش.
- ربط المعاني الثانية بالمعاني الأولى والمقاصد القرآنية، وعدم القصد إلى ترجمة المعاني الثانية مجردة؛ لأن الثواني خدم للأول، ولأن ذلك قد لا يعين في توضيح المعاني القرآنية، وقد تسبب مشكلة دلالية لعدم تجردها عن المعاني الأولى.
- الترجمة الحرفية لبعض الألفاظ والتراكيب التي لها مقابلات في اللغة المستقبلية ثم وضع الهوامش للتعليق على الإيحاءات المضادة المحتملة من اختلاف بعض أوجه استخدام هذا المقابل في اللغة المستقبلية، أو بعض الأوجه التي قد ترد الكلمة لها في اللغة العربية، والإشارة إلى الترجمة المعنوية بالهامش أيضاً.
- الترجمة المعنوية لما قد لا يوجد لها مقابل في اللغة المستقبلية، مع وضع توضيحات بين قوسية، ثم وضع التعليق الهامشي لتوضيح المعاني الثانية المقصودة من اللفظ، أو التركيب، حسب معهود العرب في الخطاب، مع إثبات المصطلحات القرآنية العربية في الهامش.
- الترجمة المعنوية للألفاظ والتراكيب التي تحمل معاني ثانية مقصودة من الألفاظ، أو مستلزمة لها، ثم وضع الترجمة الحرفية بالهامش وبيان أوجه استخدامها في اللغة العربية.
- في حالة عدم وجود لفظ مطابق تماماً في اللغة المستقبلية، يختار أقرب لفظ منها لنقل المعنى، مع تقديم توضيحات تمكّن المستقبل القارئ من الفكرة الدقيقة الصحيحة عن الموضوع الذي ينقله النص.
- تُفصل الترجمة المباشرة للنص الأصلي عن التفصيلات والتعليقيات التي توضع لبيان الاختلاف الثقافي واللغوي والاجتماعي والنفسي التي ينبغي أن توضع في الهامش.

- التزام وضع التعليقات الهامشية في توضيح المعاني القرآنية الثانية الصحيحة المحتملة في الآيات جميعها؛ تفاديا لردود أفعال دينية مضادة ترد أحيانا من الخطأ في نقل هذه المعاني، مع الإفادة بعدم صحة المفاهيم المغلوطة الشائعة.
- عدم الاستناد الكلي إلى وضع التعليقات الهامشية في توضيح المعاني الثانية، بل الأجدر بيان المعاني الضرورية منها في التوضيحات والبيانات والتمثيلات داخل النص؛ لأن بعض المتعاملين بالترجمة لا يلتفتون إلى الهوامش، ولا ينقلونها عند نقل ترجمة الأصل أو اقتباسها.
- إدراج التفصيلات اللازمة في ترجمة الأصل لبيان المعنى الثاني في الآية بين الأقواس هكذا (.....).
- إدراج الإضافات للتمثيل للمعنى الثاني الذي قد يكون غريبا على قارئ الترجمة، أو غير واضح له بين الأقواس المعكوفة هكذا [.....].
- استخدام طريقة إعادة صياغة بنية الجملة التي تحمل المعنى الثاني المقصود، ووضع الجملة الجديدة بين علامات التنصيص هكذا "....."، مع التعليق بالهامش لتوضيح المعنى الذي أريد إبرازها بإعادة صياغة الجملة، وإثبات الترجمة الحرفية للتركيب الأصلي.

خاتمة:

تناول المقال مظاهر المعاني القرآنية الثانية، وأهمية ترجمتها، وإمكان هذه الترجمة والمشكلات التي تكتنفها، ودار سؤاله حول إمكان ترجمة المعاني القرآنية الثانية في ضوء المشكلات التي واجهت المحاولات السابقة. وقد لوحظ أن بعض هذه المحاولات كانت موفقة في كثير من الأوجه، ومن أهمها ترجمة العلامة عبد الله يوسف علي التي اتسمت بالتعليقات الهامشية وبعض التوضيحات الداخلية، ولكنه لا يلتزم بها في عدد كثير من الآيات التي تتضمن معاني ثانية يقصد تقديمها من الآيات، أو تكون هذه التعليقات غير منسجمة مع المعنى الثاني المقصود.

ونظرا لأهمية بيان المعاني الثانية في فهم الرسالة القرآنية، وصلتها باستيعاب المعاني الأولى، فإن المقال يقترح ألا يعتمد أي ترجمة للقرآن لا تهتم ببيان المعاني الثانية، ولا يؤخذ بأي ترجمة لا تلتزم بوضع التعليقات الهامشية، ولا تستغل التوضيحات والتمثيلات الداخلية كل المواضع الضرورية لبيان الرسالة القرآنية. وينبغي أن يهتم المترجم في هذه التعليقات والتوضيحات بتقديم كل المعلومات المعينة على فهم القرآن، ولا يعذره إدعاء طول الترجمة؛ إذ لا ينبغي أن يقصد بالترجمة

تقليد النص المنزّل، ولا أن يتخذ النص المترجم عملاً أدبياً يتداول، أو يحوّل إلى كتاب ديني مقدّس يتعبّد بتلاوته. ولا مدّعى لأن تقدم ترجمة القرآن في مجلد واحد؛ إذ يمكن تجاوز الصعوبة المحتملة من طول الترجمة، أو كثرة صفحاتها بتدوينها في الأقراص الحاسوبية وما يشبهها.

ومما يسهّل ترجمة المعاني الثانية في القرآن الجهد العظيم الذي قدّمه العلماء في إبرازها، فيكون على المترجم الاطلاع عليها من أجل اختيار الأقرب لفهمه، ثم الإحالة في الهامش إلى المعاني الأخرى الواردة، أو المحتملة في الآية التي يترجمها. وفي ذلك تمكين للثواني من خدمة الأول، وبيان الرسالة الإلهية على أحسن وجه، وتحقيق مقصد هداية البشر.

* * * *